مدخل إلى علم الدلالة.

قبل الحديث عن الدلالة لابد من الحديث عن اللغة، لأنها الموضوع الأساسي في علم الدلالة، واللغة من أهم خصائص الإنسان، فهي التي تميّزه عن غيره من الكائنات الحية، إذ هو حيوان ذو لغة (ناطق)، كما أنه تميّز بعقله وتفكيره وقابليته للتطور والرقيّ والتقدم، واللغة بالنسبة للإنسان من الضرورات الحيوية التي استطاع بها الاستمرار والتطور، وتأتي ترتيبا بعد الهواء والماء والغذاء.

وليست اللغة في الحقيقة . وأهم غاياتها التواصل . إلا علاقة بين صورة صوتية (ألفاظ) وصورة مفهومية (معان) يتم الربط بينهما ذهنيا، فهي تعتمد على ربط العلاقة بين الدال والمدلول، والدلالة تقوم على الربط بين هذين الجانبين: الجانب المادي (الدال) والجانب الذهني (المدلول)، وهما مجتمعين وغير منفصلين شأنهما شأن وجهي الورقة الواحدة ([1]).

ويمثل **علم الدلالة La sémantique** مستوى من مستويات دراسة اللغة وهو المستوى الدلالي، وذلك لأنه يعالج المعنى الذي تخلص إليه المستويات الأخرى، وهو بذلك يعتبر فرعا من فروع اللسانيات، فالمستوى الدلالي يتقاطع مع جميع المستويات الأخرى: الصوتي والصرفي والنحوي وحتى البلاغي والأسلوبي (مع العلم أنه هناك من لا يدخل المستوى البلاغي في هذه المستويات)، لأن الدلالة حاضرة وناتجة عن تفاعل كل هذه المستويات، حتى المستوى الصوتي الذي يقال عنه أنه مستوى الوحدات غير الدالة، وينبغي الإشارة هنا إلى أن هذا التقسيم هو تقسيم نظري افتراضي، فاللغة تعمل لأداء مهمتها وفق نظام اللغة الذي تندمج فيه كل هذه الأنظمة، فعلى مستوى العمل والأداء ليس هناك مستويات منفصلة، وإنما التقسيم إلى هذه المستويات

[1]. فرديناند دي سوسير، دروس في الألسنية العامة، تر. صالح القرمادي، محمد الشاوش، محمد عجينة، ص.174.

لضرورة البحث والتحليل والدراسة اللغوية، فالمتكلم الذي يتحدّث وفق نظام اللغة لا علاقة له بهذه المستويات التي لها أنظمة خاصة بها.

يهتم علم الدلالة . إذن . بمعاني الكلمات بوصفها علامات لغوية، وهو فرع من علم عام وهو السيميولوجيا أو علم العلامات أو العلامية La Sémiologie، وهذه الكلمة مشتقة من اليونانية Sémeion التي تعني علامة، وLogos التي تعني خطاب أو علم، مثلما نقول: علم الاجتماع Sociologie، علم المصطلح Terminologie، علم اللاهوت Théologie، علم الأحياء Biologie، علم الحيوان Zoologie ...

ويتمثّل موضوع السيميولوجيا في العلامات والإشارات والأدلة بمفهومها الواسع، لغوية كانت أم غير لغوية، وهذا ما ذكره "**سوسير Saussure**" في محاضراته ([2])، وتكون هذه العلامات أساسية في التواصل الإنساني: السمعية منها أو البصرية أو الشمية أو الحركية أو اللمسية.

إنّ السيميولوجيا من المنظور السوسيري تتناول كل ما يعتبر نظاما متناهيا من العلامات، بما في ذلك الرموز اللغوية، وأنظمة اللباس والتحية والصورة والرسم وغيرها، وهما يمكن الحديث عن سيميولوجيا لسانية تتناول الرموز اللغوية، بعدّها نظاما من الرموز التي تقابلها مدلولاتها، وسيميولوجيا غير لسانية: وتهتم بعلامات أخرى غير لغوية تمثّل وحدات في أنظمة تواصلية أخرى.

ومن هنا جعل "**سوسير**" مجال السيميولوجيا أوسع من مجال اللسانيات في معالجة العلامة، واقتصر لديه مجال اللسانيات على دراسة العلامات اللغوية، وخالفه "**بارت Barthes**" في طبيعة العلاقة التي تربط العلمين، حيث عكس العلاقة السوسيرية معتبرا مجال اللسانيات أكثر امتدادا من مجال السيميولوجيا ([3])، وهذا يعني أنّ السيميولوجيا فرع من اللسانيات، لأن الدلالة اللغوية أهم عناصر هذا العلم إلى جانب عناصر

---

[2]. فردينان دي سوسير، المرجع السابق، ص.37.

[3]. رولان بارت، مبادئ في علم الأدلة، تر. محمد البكري، ص. 29

دلالية أخرى غير لغوية، والعناصر اللغوية هي المعوّل عليها في الاتصال الذي يقوم أساسا على فهم العلاقة بين الدال والمدلول، فكل عملية سيميولوجية لا بد أن تمر عبر اللغة، بل إن اللغة حاضرة دائما في كل فروع الدلالة، لغوية كانت أم غير لغوية، ومن ثم كانت السيميولوجيا بالنسبة إلى "**بارت**" العلم الذي يهتم بدراسة الوحدات الدلالية الكبرى للخطاب.

ونخلص في الأخير إلى أن السيميولوجيا تهتم بدراسة العلامات اللغوية وغير اللغوية فمجالها واسع، أما علم الدلالة فمجاله ضيق وهو الاهتمام بدلالة العلامات اللغوية دون العلامات غير اللغوية.